

موقف مجلس العلماء الإندونيسي من أفكار الاستشراق وتأثيرها على المجتمع الإسلامي بإندونيسيا

دكتور / رمضان*

تمهيد

إن مما لا جدال فيه أن الاستشراق له أثر كبير في العالم الغربي وفي العالم الإسلامي على السواء. ولا يكاد في عالمنا الإسلامي المعاصر يجد مجلة أو صحيفة أو كتاباً إلا وفيها ذكر أو إشارة إلى شيء عن الاستشراق، وهذا ليس أمراً مستغرباً وذلك لأن الاستشراق في حقيقة الأمر من قضية الصراع الحضاري بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، ولهذا فلا يجوز التقليل من شأنه بالنظر إليه على أنه من قضية منفصلة عن باقي دوائر هذا الصراع الحضاري. فقد كان للاستشراق من غير شك له أثر كبير في صياغة التصورات الأوروبية عن الإسلام وفي تشكيل مواقف الغرب إزاء الإسلام على مدى قرون عديدة.

والاستشراق قضية تتناقض حولها الآراء في عالمنا الإسلامي، فهناك من يؤيده ويتحمس له إلى أقصى حد وهناك من يرفضه جملة وتفصيلاً ويلعن كل مشتغل به بوصفه عدواً للدودا للإسلام والمسلمين.

والواقع الذي لا يمكن إنكاره أن الاستشراق له تأثيراته القوية في الفكر الإسلامي الحديث إيجاباً أو سلباً أردنا أم لم نرد. ولهذا فإننا لا نستطيع أن نتجاهله أو نكتفي بمجرد رفضه وكأننا بذلك قد قمنا بحل المشكلة، إننا لو فعلنا ذلك لكنا كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمال.

ومن أجل ذلك أريد أن أحدثكم اليوم عن أفكار المستشرقين وتأثيرها على المجتمع الإسلامي بإندونيسيا في موضوعية هادئة. ولن نستطيع بطبيعة الحال في محاضرة كهذه أن نوفي هذا الموضوع حقه من البحث ونستوفي الحديث عن كل جوانبه، ولكن حسبنا أن نلقي بعض الضوء على بعض النقاط المهمة، لعل ذلك يكون حافزاً لنا على التفكير والتأمل في هذا الموضوع.

* محاضر في جامعة جاكرتا الحكومية — شعبة اللغة العربية وآدابها كلية اللغات والفنون — إندونيسيا.

تاريخ الاستشراق بأنندونيسيا

ترجع البدايات الأولى للاستشراق لدى بعض الباحثين إلى مطلع القرن الحادي عشر. ويرى المستشرق الألماني المعاصر رودى بارت أن بداية الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا تعود إلى القرن الثاني عشر. وعلى أية حال فإن الدافع لهذه البدايات المبكرة للاستشراق الذي دار بين العالم الإسلامي والمسيحي في الأندلس وصقلية، كما دفعت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلى اشتغال الأوروبيين بتعاليم الإسلام وعاداته. وقد نشط المسيحيون في ذلك الوقت ضد الإسلام وزعموا فيما زعموا أن الإسلام قوة خبيثة شريرة، وأن محمدا ليس إلا صنما أو إله قبيلة أو شيطانا، وغدت الأساطير الشعبية والخرافات خيال الكتاب اللاتينيين. ولم يكن الهدف بطبيعة الحال هو عرض صورة موضوعية عن الإسلام.

وفي مقابل تلك الصورة البغيضة للإسلام كانت هناك جهود أخرى للوصول إلى قدر من الموضوعية في مجال العلوم العربية مثل الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية. يقول " ميكسوم رودنسون " عن تلك الفترة : " ولا يصادف المرء موقفا موضوعيا إلا في مجال مختلف غاما لا يمت إلى الدين الإسلامي إلا بصلة بعيدة وأعنى العلم بأوسع معانيه ". وقد أخطأ هنا في جعله العلم لا يمت إلى الإسلام إلا بصلة بعيدة. فقد كان الإسلام في واقع الأمر وراء كل إنجاز علمي حققه المسلمون في مختلف المجالات^٣.

وبدأ من عام ١١٣٠ م كان العلماء المسيحيون في أوروبا يعملون جاهدين على ترجمة الكتب العربية في الفلسفة والعلوم، وكان لرئيس أساقفة كليلة الفضل في إخراج ترجمات مبكرة لبعض الكتب العربية بعد الاقتناع بأن العرب يملكون مفاتيح قدر عظيم من تراث العالم الكلاسيكي. وكانت هناك في القرن الثاني عشر أيضا بعض المحاولات للتعرف على الإسلام بفجر من الموضوعية ولكن مع الهدف الواضح والمعلن وهو محاربة الإسلامية الإلحادية. ومن أجل ذلك قام بطرس الموقر ١١٥٦م رئيس رهبان كلوني بتشكيل جماعة من المترجمين في أسبانيا يعملون كفريق واحد من أجل الحصول على معرفة علمية موضوعية عن الإسلام. وفي تلك الفترة ظهرت أول ترجمة للقرآن عام ١١٤٣م قام بها الإنجليزي " روبرت أوف كيتون " ^٤.

وهكذا نجد أنه قد كان هناك في هذه الفترة المبكرة للاستشراق اتجاهان مختلفان فيما يتعلق بالمواقف والأهداف إزاء الإسلام. أما الاتجاهات الأولى فقد كان اتجاها لاهوتيا متطرفا في

جذله العقيم. ناظرا إلى الإسلام من خلال ضباب كثيف من الخرافات والأساطير الشعبية . أما الاتجاه الثاني فقد كان نسبيا بالمقارنة إلى الاتجاه الأول أقرب إلى الموضوعية والعلمية، ونظر إلى الإسلام بوصفه مهد العلوم الطبيعة والطب والفلسفة. ولكن الاتجاه الخرافي ظل حيا حتى القرن السابع عشر وما بعده ، وما يزال هذا الاتجاه للأسف حيا في العصر الحاضر في كتابات بعض المستشرقين عن الإسلام ولبيه.

والأمر المهم بالنسبة لتطور الاستشراق كان الاقتناع بضرورة تعلم لغات المسلمين إذا أريد محاولة تنصير المسلمين أن تؤتي ثمارها بنجاح . وقد كان للمد الاستعماري في العالم الإسلامي دوره في استخدام فئة من المستشرقين للمساعدة على تحقيق الأهداف الاستعمارية في بلاد المسلمين عن طريق دراستهم الموجهة إلى خدمة الاستعمار. كما استعمر الهولندي أندونيسيا إلى ثلاثة ونصف قرون .

يخدم المستشرقون أهدافهم التي وضعوها لأنفسهم بإخلاص تام هذه الأهداف إلى أقصى حد ممكن وبكل الوسائل. وعند ما أراد المستشرق الهولندي سنوك هورجرونيه أن يكتب كتابا عن مكة لم يشته عن عزمه لدراسة مكة على الطبيعة أنه مسيحي لا يجوز له أن يدخل مكة، فانتحل اسما إسلاميا هو عبد الغفار ، وزار مكة عام ١٨٨٤ م وأقام هناك مدة خمسة أشهر، وكان يجيد العربية كأحد أبنائها. وبعد هذه الرحلة كتب عن مكة كتابين أولهما : الحج إلى مكة، وثانيها مكة وجغرافيتها في القرن التاسع عشر - في جزأين - وصف فيه مكة وصفا دقيقا شاملا مع خرائط عديدة .^٥

وبدءا من عام ١٨٨٩ م درس هذا المستشرق عادات وتقاليد أهل جاوى وأنشيه بأندونيسيا للمساعدة على تحقيق الأهداف الاستعمارية الهولندية بأندونيسيا في إضعاف القيم الإسلامية وتقجيد القيم الغربية المسيحية .^٦

وإذا كانت غزوة بونايرت لمصر قد مثلت بداية الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة لوطن العرب - قلب العالم الإسلامي - بعد أن التف هذا الاستعمار حول هذا العالم - عبر أربعة قرون !؟ فإن هذه الغزوة قد تميزت عن سابقتها الصليبية باستهدافها احتلال العقل، واستبدال الفكر، وتغيير الهوية - مع احتلال الأرض ونهب الثروة واستبعاد الإنسان.^٧

وفي كل موقع من بلاد الإسلام قامت فيه للاستعمار الغربي سلطة ودولة، أخذ هذا الاستعمار - شينا فشيئا يحل العروة العلمانية في تدبير الدولة وحكم المجتمع وتنظيم العمران محل " الإسلامية " ويزرع القانون الوضعي العلماني حيثما يقتلع شريعة الإسلام وفقه معاملاتها.....

ففي أندونيسيا أخذ الاستعمار الهولندي إحلال القانون الوضعي العلماني محل الشريعة الإسلامية وقانونها. ومع القانون العلماني الوضعي، الذي لا يضبط "المنفعة" بالشرع ولا يحكم حقوق الإنسان بحقوق الله وحدوده - جاءت الغزوة الاستعمارية الغربية إلى بلاد الإسلام بمفهوم الإنسانية المتحرر من الضوابط الشرعية، والمؤسس على أن الإنسان هو سيد العالم ومرجع التدبير للعمران، وليس على المفهوم الإسلامي للاستخلاف والذي يضبط حرية الخليفة بالشريعة الإلهية، التي هي معالم التدبير الإلهي للاجتماع الإنساني، وفيها بنود وعهد الاستخلاف الإلهي للإنسان، وعن هذا المفهوم العلماني للحرية الذي يقضى بعبارة عبد الله النديم : " بعدم تعرض أحد لأحد في أموره الخاصة " يقول النديم في نقده وفي بيان بديله الإسلامي : " إن الحرية عبارة عن المطالبة بالحقوق، والوقوف عند الحدود، وهذا الذي نسمع به ونراه رجوع إلى البهيمة وخروج عن حد الإنسانية...أفها حرية مدنية ينفر منها البهيم... ولكن كان ذلك سائغا في أوروبا ، فان لكل أمة عادات وروابط دينية أو بيئية، وهذه الإباحة لا تناسب أخلاق المسلمين ولا قواعدهم الدينية ولا عاداتهم ، وهي لا توافق عوائد أهل الشرق ولا أديانهم ، والقانون الحق هو الحافظ لحقوق الأمة من عسر أن ينجى أو يغرى بالجناية عليها بما يبيحه من الأحوال المحظورة عندها".^١

دوافع الاستشراق

١. الدافع الديني: فقد رأينا بالرهبان كان يهتمهم أن يطعنوا في الإسلام ويشوهوا محاسنه ويعرفوا حقائقه ليشتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار. وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفك دماء، يحثهم دينهم على الملدات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو ورحي وخلق. ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة عند الغربيين وأخذت تشككهم بكل التعلم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى فلم يجدوا خيرا من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة.

وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى ثم الحروب الصليبية ثم الفتوحات العثمانية في أوروبا بعد ذلك في نفوس الغربيين من خوف من قوة الإسلام وكر لاهله. فاستغلوا هذا الجلو النفسي وازدادوا نشاطا في الدراسات الإسلامية.

وهناك الهدف التبشيري الذي لم يتناسوه في دراساتهم العلمية وهم قبل كل شيء رجال الدين، فأخذوا يهدفون إلى تشويه سمعة الإسلام في نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية والتشكيك في التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث.

٢. الدافع الاستعماري : لما انتهت الحروب الصليبية بمزعة الصليبيين وهي في ظاهرها حروب دينية وفي حقيقتها حروب استعمارية لم يأس الغربيون من العودة إلى بلاد العرب لبلاد الإسلام. فانجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شئونها من عقيدة وعادات وأخلاق وتراث، ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها وإلى مواطن الضعف فيغتموه. ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا وبث الوهن والإرتباك في تفكيرنا، وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث، وما عندنا من عقيدة وقيم إنسانية، فنفقد الثقة بأنفسنا ونرتقي في أحضان الغرب نستجدي منه المقاييس الأخلاقية والمبادئ العقائدية، وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضارتهم وثقافتهم خضوعا لا تقوم لنا من بعده قائمة.

أنظر إليهم كيف يشجعون في بلادنا القوميات التاريخية التي عفي عليها الزمن، واندثرت منذ حمل العرب رسالة الإسلام، فتوحدت لغتهم وعقيدتهم وبلادهم، وحملوا هذه الرسالة إلى العالم فأقاموا بينهم وبين الشعوب روابط إنسانية وتاريخية وثقافية ازدادوا بها قوة وازدادت الشعوب بها رفعة وهداية، إنهم ما يرجوا منذ نصف قرن يحاولون إحياء الفرعونية في مصر، والفينيقية في سوريا ولبنان وفلسطين، والعشورية في العراق وهكذا ليتسنى لهم تشتيت شملنا كأمة واحدة، وليعرفوا قوة الاندفاع التحررية عن عملها في قوتنا وتحررنا وسيادتنا على أرضنا وثرواتنا وعودتنا من جديد إلى قيادة ركب الحضارة، والتقاءنا مع خوفنا في العقيدة والمثل العليا والتاريخ المشترك ومصالح المشتركة.

٣. الدافع التجاري : ومن الدوافع التي كان أثرها في تنشيط الاستشراق رغبة الغربيين في التعامل معنا لترويج بضائعهم وشراء مواردها الطبيعية الخام بأنجس الأثمان ولقتل صناعتنا المحلية التي كانت لها مصانع قائمة مزدهرة في مختلف بلاد المسلمين.

٤. الدافع السياسي : وهنالك دافع آخر أخذ يتجلى في عصرنا الحاضر بعد استقلال الدول الإسلامية، ففي كل سفارة من سفارات الدول الإسلامية لدى هذه الدول سكرتير أو ملحق ثقافي يحسن اللغة العربية ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة فيتعرف إلى أفكارهم، ويث فيهم من اللغة حاجات السياسة ما تريده دولته، وكثيرا ما كان لهذه الاتصال أثره الخاطر في الماضي حين كان السفراء الغربيون - ولا يزالون في بعض بلاد الإسلامية - يثون الدسائس للفرقة بين الدول الإسلامية بعضها من بعض، بحجة توجيه النص وإسداء المعونة بعد أن درسوا تماما نفسية كثيرين من المسئولين في تلك البلاد، وعرفوا نواحي الضعف في سياستهم العامة، كما عرفوا الاتجاهات الشعبية الخطيرة على مصالحهم واستعمارهم.

٥. الدافع العلمي : ومن المستشرقين نفر قليل جدا أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الإطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافتها وحضاراتها ولغاتها، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأ في فهم الإسلام وتراثه، لأنهم كانوا يعتمدون الدس والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجهمية الغالبة من المستشرقين ، بل إن منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته، على أن هؤلاء لا يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص، لأن أبحاثهم المجردة عن أهوى لا تلقى رواجاً لا عند رجال الدين ولا عند رجال السياسة ولا عند الباحثين، ومن ثمة فهي لا تدر عليهم ربحاً ولا مالا، ولهذا ندر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين.^٩

أهداف الاستشراق ووسائله

تنقسم أهداف المستشرقين في مجلتهم من الدراسات الاستشرافية إلى ثلاثة أقسام :
1. أهداف علمي مشبوه، ويهدف إلى :

أ. التشكيك برسالة صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ومصدرها الإلهي، فجمهورهم ينكر أن يكون الرسول نبيا موحى إليه من عند الله جل شأنه، ويتخاطبون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم أحيانا، فمن المستشرقين من يرجع ذلك إلى صرع كان ينتاب النبي صلى الله عليه وسلم حيناً بعد حين، ومنهم من يرجعه إلى التخيلات كانت تملأ ذهن النبي، ومنهم من يفسرها بمرض نفسي، وهكذا، كأن الله لم يرسل نبيا قبله حتى يصعب عليهم تفسير ظاهرة الوحي، ولما كانوا كلهم ما بين يهود ومسيحيين يعترفون بأنبياء التوراة، وهم كانوا أقل شأنا من محمد صلى الله عليه وسلم في التاريخ والتأثير والمبادئ التي تادي بها، كان إنكارهم لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم تعنتا مبعثه التعصب الديني الذي يملأ نفوس أكثرهم رهباً وقسماً مبشرين.

ويتبع ذلك إنكارهم أن يكون القرآن كتابا منزلا عليه من عند الله عز وجل، وحين يفحهم ما ورد فيه من حقائق تاريخية عن الأمم الماضية مما يستحيل صدوره عن أمي مثل محمد صلى الله عليه وسلم، يزعمون ماز عمه المشركون الجاهليون في عهد الرسول من أنه استمد هذه المعلومات من أناس كانوا يخبرونه بها، ويتخاطبون في ذلك تحبظا عجيبا، وحين يفحهم ما جاء في القرآن من حقائق علمية لم تعرف وتكشف إلا في هذا العصر، يرجعون ذلك إلى ذكاء النبي صلى الله عليه وسلم، فيقعون في تحبظ أشد غرابة من سابقه.

ب. ويتبع إنكارهم لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم سماوية القرآن، إنكارهم أن يكون الإسلام دينا من عند الله وإنما هو ملفق - عندهم - من الدينان اليهودية و المسيحية، وليس لهم في ذلك مستند يؤيده البحث العلمي وإنما هو ادعاءات تستند على بعض النقاط الالتقاء بين الإسلام والدينيين السابقين.

ويلاحظ أن المستشرقين اليهود هم أشد حرصا على ادعاء استمداد الإسلام من اليهود وتأثيرها فيه. أما المستشرقون المسيحيون فيجرون وراءهم في هذه الدعوى إذ ليس في

المسيحية تشريع يستطيعون أن يزعموا تأثر الإسلام به وأخذه منه، وإنما فيه مبادئ أخلاقية زعموا أنها أثرت في الإسلام ودخلت عليه منها، كأن المفروض في الديانات الإلهية أن تتعارض مبادئها الأخلاقية، وكان الذي أوحى بدين هو غير الذي أوحى بدين آخر، فتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

ج. التشكيك في صحة الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا المحققون، ويتذرع هؤلاء المستشرقون بما دخل على الحديث النبوي من وضع ورس، متجاهلين تلك الجهود التي بذلها علماؤنا لتقية الحديث الصحيح من غيره، مستلدين إلى قواعد بالغة الدقة في الثبوت والتحري، مما لم يعهد عندهم في ديانتهم عشر معاشره في التأكد من صحة الكتب المقدسة عندهم، وقد ناقشتهم في ذلك نقاشا علميا في كتابي : (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) الذي صدر حديثا.

والذي حملهم على ركوب متن الشطط في دعواهم هذه، ما رأوه في الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا من ثروة فكرية وتشريعية وهم لا يعتقدون بنوة الرسول، فادعوا أن هذا لا يعقل أن يصدر كله عن محمد الأمي بل هو عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى، فالعقدة النفسية عندهم هي عدم تصديقهم بنوة الرسول، ومنها ينبعث كل تحيطاتهم وأوهامهم.

د. التشكيك بقيمة الفقه الإسلامي الذاتية، ذلك التشريع الهائل الذي لم يجتمع مثله لجميع الأمم في جميع العصور، لقد سقط في أيديهم حين حين اطلاعهم على عظمته وهم لا يؤمنون بنوة الرسول، فلم يجدوا بدا من الزعم بأن هذا الفقه العظيم مستمد من الفقه الروماني، أي أنه مستمد منهم - الغربيين - وقد بين علماؤنا الباحثون هافت هذه الدعوى، وفيها قرره مؤتمر القانون المقارن بلاهاي من أن الفقه الإسلامي فقه مستقبل بذاته وليس مستمدا من أي فقه آخر، ما يفحم المعتنين منهم، ويقنع المنصفين الذين لا ييغون غير الحق سبيلا.

هـ. التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي، لنظل عالة على مصطلحات العربية التي تشعرونا بفضلهم وسلطانهم الأدبي علينا، وتشكيكهم في غنى الأدب العربي، وإظهاره مجدبا فقيرا لتنتجه إلى آدامهم، وذلك هو الاستعمار الأدبي الذي ييغونه مع

الاستعمار العسكري الذي يرتكبه. تلك هي الأهداف العلمية التي يعمل لها أكثرهم أو جمهورهم الساحقة.

ب. الأهداف الديني والسياسة

وتتلخص فيما يلي :

١- تشكيك المسلمين بنبيهم وقرآنهم وشريعتهم وفقههم، ففي ذلك هدفان ديني واستعماري.

٢- تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري، يدعون أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان، ولم يكن العرب المسلمون إلا نقلة لفلسفة تلك الحضارة وآثارها، لم يكن لهم إبداع فكري ولا ابتكار حضاري، وكان في حضارتهم كل النقائص، وإذا تحدثوا بشيء عن حسناتها - وقليلًا ما يفعلون - يذكرونها على مضض مع انقاص كبير.

٣- إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم، وبث روح الشك في كل ما بين أيديهم من قيم وعقيدة ومثل عليا، ليسهل على الاستعمار تشديد وطأته عليهم، ونشر ثقافته الحضارية فيما بينهم، فيكونوا عبيدا، يجريهم حبها إلى جهم أو إضعاف روح المقاومة في نفوسهم.

٤- إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام، وإثارة الخلافات والرعاع بين شعوبهم، وكذلك يفعلون في البلاد العربية، يجهدون لمنع اجتماع شملها ووحدة كلمتها بكل ما في أذهانهم من قدرة على تحريف الحقائق، وتصيد الحوادث الفردية في التاريخ ليصنعوا منها تاريخا جديدا يدعو إلى ما يريدون من منع الوحدة بين البلاد العربية والتفاهم على الحق والخير بين جماهيرها.

ج. أهداف علمية خالصة

لا يقصد منها إلا البحث والتمحيص، ودراسة التراث العربي والإسلامي دراسة تجلو لهم بعض الحقائق الخافية عنهم، وهذا الصنف قليل عدده جدا، وهم مع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق، إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية، وإما لجهلهم عن الحق، إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية، وإما لجهلهم بالأجواء الإسلامية التاريخية على حقيقتها، فيحبون أن يتصوروها كما يتصورون

مجتمعاتهم، ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والزمنية التي تفرق بين الأجواء التاريخية التي يدرسونها، وبين الأجواء.

ولهذا الفئة أسلم الفئات الثلاثة في أهدافها، وأقلها خطراً، إذ سرعان ما يرجعون إلى الحق حين يتبين لهم، ومنهم من يعيش بقلبه وفكره في جو البيئة التي يدرسها، فيأتي بنتائج تنطبق مع الحق والصدق والواقع، ولكنهم يلقون عنتاً من أصحاب المهدفين السابقين، إذ سرعان ما يهتمونهم بالانحراف عن النهج العلمي، أو الانسياق وراء العاطفة، أو الرغبة في مجامل المسلمين والتقرب إليهم، كما فعلوا مع (توماس أرنولد) حين أنصف المسلمين في كتاب العظيم (الدعوة إلى الإسلام) فقد برهن على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين، على عكس مخالفيهم معهم، هذا الكتاب الذي يعتبر من أدق وأوثق المراجع في تاريخ التسامح الديني في الإسلام.^{١٠}

أفكار الاستشراق وأثرها على المجتمع الإسلامي بأنثرونيسيا

إن مما لاشك فيه أن الاستشراق والعلمانية والتبشير والاستعمار على حد سواء..... فكل هذه الفئات متعاونة متضافرة لغزو بلاد الإسلام، وإخراج المسلم من الإسلام، وإدخاله في النصرانية بل هذه الفئات متبقة من الصليبية لأدائها مهمتها في التضييل والقيام بمسؤوليتها في التنصير، بل هذه الفئات هي الصليبية ذاتها، وجدت في العصر الحديث لتتخذ أسماء ومسميات وأساليب.... ظاهرها الرحمة، ومن باطنها من قبلها العذاب - ويا للأسف في أنثرونيسيا، وما زالت تعمل للوصول هدفها للخبيث وتنفيذ حقدتها الدفين.

كما سبق ذكره أن من أهداف ووسائل الاستشراقية استخدام العملاء في الداخل هو أدهى وأمر، بل أعظم وأخطر لأن هم العملاء هم على الغالب من أبناء جلدتنا ويتكلمون بالستنا والبعض منهم ينتمي إلى إسلامنا، وأحياناً يتقمصون ثوب الإسلام والوطنية ليضللوا المسلمين بأفكارهم ودعوائهم الضالة الزائفة .

ولا شك أن للاستشراق عناصرها التي تعمل وأساليبها التي تتنوع ومبادئها التي تغفل، ومنظمتها التي تتجدد، وإمداداتها المادية الخارجية التي تستمر، وتنفيذها لأوامر الأسياد التي تصدر. هم العملاء الذين باعوا أنفسهم للشيطان متمركزين في الوزارات، في وسائل الإعلام، في أجهزة التعليم، في النقابات، في المؤسسات و في كل مكان. ووسائلهم في بث الفساد والتضييل والإلحاد.... كثيرة متنوعة : في الصحف نارة في البث الإذاعي أخرى، في التمثيليات التلفزيونية،

في الندوات والمراكز العلمية والثقافية مرة. عدا عن الدس في المناهج والكتب وأجهزة التعليم والجامعات.

واليكم أفكار الاستشراق باندونيسيا، منها :

١. التحريف في آيات الميراث

يرفض وزير الدينية السابق منور شذالي آيات الميراث يرفض حكم الله في قوله تعالى : يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين (النساء ١١) ويقول : هذا حكم انتهى وقته ، هذا كان عندما كانت المرأة تابعة للرجل، ولم يكن لها استقلالها الاقتصادي. أما المرأة الآن وقد تعلمت وعملت فما عاد هذا الحكم قائما !

٢. التحريف في آيات الحجاب ومعنى لا إله إلا الله

يترجم نور خالص ماجد المتوفى سنة ٢٠٠٥ هو من أحد رؤساء العلمانيين أن معنى الحجاب: ثوب كبير ورمز ديني تستعمله نساء العربيات للظروف البيئية. وادعى أنه لا يأمر زوجته وبناته أن يلبسن الحجاب. ويترجم معنى لا إله إلا الله : لا ربا صغيرا إلا رب كبير.

٣. التحريف في آيات أهل الكتاب

يرى نور خالص ماجد أن أهل الكتاب لا ينحصر على اليهودية والنصرانية فقط بل له معنى أوسع تشمل الصينية والبوذية والهندوكية والنجوسية ، وجاز للمسلم أن يتزوج من ويتوارث بها.

٤. يرى رئيس الجمهورية السابق عبد الرحمن واحد : يجوز لنا أن نبذل تحية الإسلام بألفاظ التي تناسب على البيئة المحلية : صباح الخير ، هارك سعيد ، مساء النور.

٥. يؤيد عبد الرحمن واحد عن وجود فرقة الأحمدية الضالة والمضلة لأنها من حرية حقوق الإنسان.

٦. ترفض جمعية تحرير المرأة باندونيسيا تعدد الزوجات لأنها إهانة واستهزاء وظلم للنساء.

٧. ترفض جمعية شبكة الليبرالي الإسلامي باندونيسيا تطبيق الشريعة الإسلامية لأنها لا تناسب البيئة ومختلفي الأديان في أندونيسيا .

٨. أجازت شبكة الليبرالي الإسلامي باندونيسيا الدعاء الجماعي بين مختلفي الأديان والتهنئة بعيد الميلاد المسيح للنصراني لأنها من التسامح .

٩. نشرت جمعية شبكة الليبرالي الإسلامي باندونيسيا أفكار التعددية في الدين بأن الأديان كلها سواء.

١٠. أقيمت جمعية شبكة الليبرالي الإسلامي باندونيسيا إن أبا هريرة رجل كذاب وكسلان ويروي الأحاديث ما لا يسمعه من رسول الله عليه الصلاة والسلام

موقفنا و مجلس العلماء الأندونيسي من أفكار الاستشراق
١. شخة عامة عن مجلس العلماء الإندونيسي^{١١}

إن مجلس العلماء الإندونيسي وعاء أو مجلس يضم العلماء والزعماء والمثقفين الإسلاميين الأندونيسي التوحيد الصف وخطوات المجتمع الإسلامي الإندونيسي في سبيل تحقيق الغاية المشتركة المنشودة . وقد تأسس مجلس العلماء الإندونيسي في السابع من شهر رجب ١٣٩٥ هـ الموافق ٢٦ يوليو ١٩٧٥ ، نتيجة اجتماع أو مشاوراة بين العلماء والمثقفين والزعماء من مختلف أنحاء أندونيسيا . منهم ستة وعشرون عالما يمثلون ستا وعشرين محافظة، وعشرة من علماء الجمعيات الإسلامية في إداراتها المركزية وهي جمعية فضة العلماء والجمعية المحمدية والشركة الإسلامية واتحاد التربية الإسلامية والجمعية الوصلية وجمعية مطلع الأنوار و GUPPI و PTDI والمجلس الإندونيسي للمساجد و جمعية الاتحادية وأربعة عشاء من مصلحة الحياة الروحية الإسلامية في كل من القوات البرية والقوات البحرية والقوات الجوية والشرطة الإندونيسية وثلاثة عشر شخصا من أفراد الشخصيات والمثقفين الإسلاميين .

وقد توصلت هذه المشاورة إلى اتفاقية لتشكيل وعاء للتشاور بين العلماء والزعماء والمثقفين الإسلاميين ، أقرغت في " وثيقة تأسيس مجلس العلماء الإندونيسي " ، وعليها توقعات من المشتركين في المشاورة التي تسمى لاحقا بالمشاروة الوطنية الأولى للعلماء . وقد صادفت مناسبة تأسيس مجلس العلماء الإندونيسي مرحلة فضة الشعب الإندونيسي بعد ثلاثين عاما من استقلاله ، حيث استرقت هذه الفترة جميع الطاقات والفعاليات في الكفاح السياسي الطائفي مما أدى إلى عدم المبالاة بقضية تحسين مستوى الحياة الروحية للأمة . والعلماء الإندونيسيون على

وعى بأنهم ورثة (وظائف) الأنبياء ، فهم مدعوون للمشاركة في بناء المجتمع عبر مجلس العلماء الإندونيسي كما شارك سلفهم العلماء في عهد الاحتلال والنضال من أجل الاستقلال . ومن ناحية أخرى ، فإن المجتمع الإسلامي الإندونيسي يواجه التحديات العالمية الثقيلة . فتقدم العلوم والتكنولوجيا قد يزعزع حدود الأخلاق والقيم ، كما أن الثقافة العالمية التي يهيمن عليها الغرب والتي تتميز بتأليه النفس والأموال والشهوات قادرة على هدم جوانب تدين المجتمع واستخفاف بدور الدين في حياة الإنسان . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن تعدد المسلمين واختلافهم في أمور الدين ومنظماهم الاجتماعية ومذاهبهم الفقهية والسياسية ، يمثل نقاط قوة من ناحية ، وإن كانت في الوقت نفسه يمثل نقاط ضعف ومصادر انشقاق فيما بينهم يؤدي إلى سقوطهم في الأناية الحزبية والعصب المذهبي وإلى ضياع الفرص أمامهم لتطوير أنفسهم ليصبحوا أمة لا تكون ضخمة في العدد فحسب وإنما أيضا متميزة في النوعية . ولذلك فإن وجود مجلس العلماء الإندونيسي يُحتاجُ إليه ليمثل القيادة الجماعية الإسلامية تحقيقا للتواصل والتزاور ، من أجل وحدة الأمة الإسلامية وتعاونهم .

وفي مسيرته لمدة خمسة وعشرين عاما ، فإن مجلس العلماء الإندونيسي بوصفه ساحة للتشاور بين العلماء والزعماء والمثقفين الإسلاميين قد حاول جهده لإعطاء الإرشادات والتوجيهات للأمة الإسلامية في تحقيق الحياة الدينية والاجتماعية التي يرضاها الله تعالى ، كما يصدر نصائحه وفتراه بشأن القضايا الدينية والاجتماعية للحكومة والمجتمع . والمجلس يقوم كذلك بتكثيف نشاطاته لتحقيق الأخوة الإسلامية والتعايش السلمي بين أتباع الديانات المختلفة توطيدا لوحدة الشعب ، ويكون المجلس أيضا وسيطا بين العلماء والأمراء واللسان الموضح لطموحات الأمة على الحكومة والمبين لسياسات الحكومة للأمة من أجل إنجاح التنمية الوطنية . والمجلس كذلك يوثق العلاقة والتعاون بين الجمعيات والمؤسسات الإسلامية والمثقفين الإسلاميين في إرشاد المجتمع وتوجيههم ، وذلك بقبوله الاستشارات وتسهيل تبادل المعلومات بين الطرفين .

وإلى الوقت الحالي ، أقام مجلس العلماء الإندونيسي عدة اجتماعات أو مشاورات وطنية وتوالت على رئاسته عدد من الرؤساء ، بداية من الأستاذ الدكتور الحاج عبد الملك كريم أمر الله (Hamka) ثم الشيخ الحاج شكري غزالي والشيخ الحاج حسن بصري والأستاذ الشيخ الحاج علي يافي والرئيس العام الحالي الشيخ الحاج محمد سهل محفوظ . والرؤساء الثلاثة الأوّل والثاني

والثالث قد وافقهم المنية بعد إنجاز وظائفهم على أحسن ما يرام ، والأخيران لا يزالان يقومان بخدمة المجلس بالإشراف عليه ورياسته فهذه غة عامة عن مجلس العلماء الإندونيسي .

اتجاه المجلس وأدواره

وللمجلس تسعة اتجاهات خدمية، وهي :

١. اتجاه ديني : مجلس العلماء الإندونيسي هيئة خيرية تأخذ الشريعة الإسلامية وقيمها أساسا لخطواتها وأنشطتها. ذلك لأن الإسلام دين يقوم على التوحيد وله تعاليم تشمل جميع جوانب الحياة الإنسانية.
٢. اتجاه إرشادي : مجلس العلماء الإندونيسي جهاز خدمي يوجه أنشطته للدعوة والإرشاد، وهو جهود لإرشاد الناس إلى الخير وتطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن النكر بمعناه الواسع. وكل برامج المجلس مصمم للدعوة والإرشاد بأبعادها المختلفة.
٣. الإيجابية : مجلس العلماء جهاز خدمي إيجابي يحل المشاكل التي يواجهها الناس بشكل إيجابي، من خلال توجيههم إلى الأعمال الصالحة في إطار التنافس والتسابق في الخيرات.
٤. الحرية: مجلس العلماء الإندونيسي جهاز خدمي حيادي ومستقل وحر غير منحاز ولا متأثر بجهاز معين في اتخاذ القرارات وإبداء الرأي والنظر والاقتراحات.
٥. التعاون : مجلس العلماء الإندونيسي جهاز خدمي يقوم على أساس التعاون على البر والتقوى في مناصرة الضعفاء ومساعدتهم من أجل الارتقاء بمستوى الشعب واجتماع. وهذه العملية تقوم على أساس الأخوة بين المسلمين بأوضاعهم المختلفة.
٦. الشورى : مجلس العلماء الإندونيسي جهاز خدمي يؤكد على مبدأ الشورى في اتخاذ قراراته من خلال تنمية الاتجاه الديمقراطي نحو وجهات النظر التي تنمو داخل المجتمع.
٧. التسامح : مجلس العلماء الإندونيسي جهاز خدمي يؤكد على مبدأ التسامح والتوسط في ممارسة أنشطته مع تحقيق التوازن بين وجهات النظر المتداولة في المجتمع وفقا لتعاليم الإسلام.
٨. القدوة : مجلس العلماء الإندونيسي جهاز خدمي يركز على القدوة والأسوة الحسنة من خلال تقديم المبادرات في الخيرات من أجل مصالح الأمة. ويامكان المجلس أن يقوم بتنفيذ أنشطة ليس فيها تداخل في الأمور الفتية بينه وبين الجمعيات الإسلامية الأخرى .

٩. الدولية : مجلس العلماء الإندونيسي جهاز خدمي عضو في المجتمع الدولي يشترك بفاعلية في تحقيق السلام العالمي ونظام العالم العادل الموافق للشرعة الإسلامية. ولذلك فالمجلس يقيم العلاقات والتعاون مع الهيئات والمنظمات الإسلامية الدولية في أنحاء العالم. وللمجلس خمسة أدوار رئيسية، وهي :

١. ورثة الأنبياء

يقوم المجلس بمواصلة أدوار ومهام الأنبياء في نشر تعاليم الإسلام وتحقيق الحياة اليومية الصالحة على أساس الدين بحكمة، وإن كان الثمن غالبا يتمثل في الانتقادات والضغط بل التهديدات من جهات مختلفة الموجهة إليه، ذلك لأن هذه المهام قد تتعارض مع بعض مصالح الشعب وعاداته وثقافته.

٢. الإفتاء

يقوم المجلس بدور الإفتاء لقضايا المسلمين سواء طلب منه ذلك أم لم يطلب. والمجلس يرحب ويحترم وجهات نظر الشعب المسلم المتعددة ومذاهبها ومنظماتها.

٣. راع وخادم الأمة

يقوم المجلس راعيا وخادما للأمة في تحقيق آمالها وطموحاتها ومطالبها. وفي هذا المهام يقوم المجلس جامدا لتلبية مطالبها في الإفتاء وتوضيح الأحكام الشرعية فيما يواجهونه من القضايا. كما يقف المجلس دائما في المقدمة في الدفاع عن مصالح الأمة ووجهات نظرها ذات العلاقة بالحكومة.

٤. الإصلاح والتجديد

يقوم المجلس بدور رائد في إصلاح وتنقية العقيدة وتجديد الفكر الإسلامي. وفي حالة الاختلاف في الآراء يقوم المجلس بالتوفيق بين هذه الآراء أو ترجيح ما يراه راجحا. وبذلك يرجى الحفاظ على الأخوة بين الأمة الإسلامية في أندونيسيا.

٥. القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يقوم المجلس جهازا لإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك بتحقيق الحق وإبطال الباطل بالحكمة والاستقامة. وفي هذا المهام يقف المجلس في المقدمة كقوة أخلاقية مع قوى الشعب الأخرى للقيام بالإصلاح الاجتماعي.

٢. موقفنا ومجلس العلماء الإندونيسي من أفكار الاستشراق

والآن - بعد أن اتضح لنا بعض الشيء أبعاد المواقف الاستشراقية - لا بد لنا من الحديث عن موقفنا - نحن المسلمين من الاستشراق عامة والعلماء الإندونيسيين خاصة. وهذا يستدعي أن نذكر ما كان يفعله أسلافنا في مثل هذا الموقف.

لقد كانت التيارات الفكرية الأجنبية القديمة - التي كانت تمثل تحديا للإسلام والفكر الإسلامي الأصيل في عصور الإسلام الزاهرة - كانت حافزا للمسلمين في تلك الأيام الخوالي للوقوف أمامها بقوة وصلابة. وقد كانت المواجهة على مستوى التحدي بل تفوقه. فقد هضم الفكر الإسلامي تلك التيارات هضمًا دقيقًا واستوعبها استيعابًا تامًا ثم كانت له معها وقفته الصلبة وبنفس الأسلحة الفكرية.

فالمواجهة - إذن - كانت مواجهة فكرية. وكان التاريخ الآن يعيد نفسه، فالحرب الآن بين الإسلام والتيارات المناوئة له حرب أفكار، والمعركة معركة فكرية، وهذه المعركة أدواتها التي يجب التسليح بها، فالخسران في هذه المعركة أشد وطأة، أقوى تأثيرًا، وأعظم فتكًا من خسارة أية معركة حربية أيا كان حجمها.

لننظر مثلاً نموذجًا رائدًا في تاريخ الفكر الإسلامي أنه حجة الإسلام الغزالي الذي خاض غمار معارك فكرية عديدة وخرج منها جميعًا منتصرًا، فماذا كان يفعل ؟ يقول الغزالي في كتابه (المنقذ من الضلال) : " أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوى أعلمهم من أهل ذلك العلم، ثم يزيد عليه ويجاوز درجته فيطلع ما لم يطلع عليه صاحب العلم وإذا ذاك يمكن ما يدعيه من فساده حقًا".

وقياسًا على ما يقوله الغزالي نجد أن استيعاب الإنتاج الاستشراقي حول الإسلام ودراسته عميقة هو الخطوة الأولى لنقده نقدًا صحيحًا وإثبات ما يتضمنه من ثغرات أو زيف، الأمر الذي يجعل المستشرقين والعلمانيين يفكرون ألف مرة قبل أن يكتبوا تحسبًا لما قد يواجههم من نقد علمي يعريهم ويثبت زيف ادعائهم.

ويؤكد هذه الحقيقة المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون حين يشير إلى أن هناك طريقًا واحدًا فقط لنقد المستشرقين. وهذا الطريق يسر عبر دراسة تفصيلية لمؤلفاتهم، ويجب أن يرتبط لنقد نقدنا لإنتاج المستشرقين بنقد ذاتي حقيقي بصفة مستمرة ، يجب أن نواجه أنفسنا بمواجهة

حقيقية بعبودتنا وتقصيرنا وقصورنا، وأن نكون على وعي حقيقي بالمشكلات التي تواجهنا في هذا العالم المعاصر.

وقد يمثل الجانب الإيجابي للاستشراق في صورة الهجوم علينا وعلى أمجادنا وليس في صورة المدح، وكلنا نعلم أن هناك عددا لا بأس به من المستشرقين قد مدحوا حضارتنا في مؤلفاتهم وأثنوا على علمائنا ومجدوا تراثنا. ولكن جانب المدح والثناء قد يكون له تأثير تخديري علينا، فيجعلنا نغض عيوننا مستسلمين لتلك الأحلام السعيدة التي تذكرنا بالعر الذي كان، ونركن إلى ذلك ونعيش على صيت أبائنا وأجدادنا، ونظن أن آبائنا عظماء لأن أجدادنا كانوا عظماء.

ومن هنا نقول أن الجانب الهجومي التنفيذي الاستفزازي في إنتاج المستشرقين قد يكون لنا خيرا من جانب المدح تأكيداً للمثل المعروف " رب ضارة نافلة " فقد يكون هذا الاستفزاز حافزا لنا لنخرج من حالة الركود الفكري التي وصلنا إليها لننتقل من جديد ونعيد ترتيب صرح ثقافتنا، وبذلك نقبل التحدي ونستجيب له فننهض من كبوتنا.

وهذا الرد ليس مجرد استفاد الطاقات في رد الهجوم وترقب الطعنات للرد عليها، وإنما هو الرد الفعال الذي ينتقل إلى الموقف الأقوى. فلا يجوز أن نقف دائما موقف المعتدى عليه، فالمعتدى عليه غالبا ما يكون ضعيفا. ولهذا لابد من أن نغير وضعنا، وذلك لن يكون إلا بتغيير أفكارنا، فنحن لنا لسنا متخلفين لقلة أشتائنا، ولكن تخلفنا لقلة أفكارنا وتبدد وجوهنا، ولن نغير أحوالنا إلا بتغيير ما في نفوسنا : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغير ما بأنفسهم)

ولابد لنا من أن نعرف بأن الاستشراق يستمد قوته من ضعفنا، ووجوده نفسه مشروط بعجز العالم الإسلامي عن معرفة ذاته و ينهض من عجزها ويلقى من على كاهله أُنقال التخلف الفكري والحضاري - يومها سيجد الاستشراق نفسهما في أزمة. ولكي نكون أكثر وضوحا وأكثر تحديدا في تصوير ما ينبغي علينا أن نقوم به لمواجهة الاستشراق نذكر فيما يلي بعض النقاط التي نعتقد أنها أمور أساسية في هذا المجال.

١. علينا أن ننظر إلى حركة الاستشراق بكل جدية ، وناخذ في حسابنا أن لها آثارا عظيمة على قطاعات عريضة من المثقفين في العالم الإسلامي. ولهذا لابد من التوفر على دراسة الاستشراق دراسة عميقة. وليس يكفي أن نقول إن ما يكتبونه كلام فارغ، فهذا الكلام

الفارغ مكتوب بشقي اللغات الحية ومنتشر انتشارا واسعا على مستوى عالمي، ومواجهته لابد أن تكون على نفس المستوى العالمي.

٢. بدلا من أن نظل نفتات فكريا من دائرة المعارف الإسلامية التي قام بأعدادها المستشرقون قبل الحرب العالمية الثانية والتي تجاوزوها ويقومون منذ سنوات بإصدار معارف إسلامية جديدة - علينا أن نقوم نحن المسلمين بإصدار معارف إسلامية باللغة العربية واللغات الأوروبية الرئيسية تقف على الأقل في مستوى دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين تخطيطا وتنظيما وتتفوق عليها علميا، وتنقل وجهة النظر الإسلامية في شتى فروع الدراسات الإسلامية والعربية إلى المسلمين وغير المسلمين على السواء.

فكل فراغ فكري لدينا لانشغاله بأفكار من عندنا يكون عرضة للاستجابة لأفكار متنافية وربما معادية لأفكارنا، فلا لنؤمن عندئذ إلا من عند أنفسنا.

٣. علينا أن نوحّد جهودنا في العالم الإسلامي لإقامة مؤسسة إسلامية علمية عالمية لانتسبى بالولاء إلى بلد إسلامي معين ولا للمذهب سياسي أو فكري أو ديني معين، بل يكون ولاؤها الأول والأخير لله وحده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وتستطيع اقتضاب الكفاءات العلمية الإسلامية في شتى أنحاء العالم، وتقف على قدم المساواة مع الحركة الاستشراقية والعلمانية ويكون لها دوريات ومجلات علمية ذات مستوى رفيع تنتشر بحوثها بلغات مختلفة، وتعمل على استعادة أصالتنا الفكرية واستقلالنا في ميدان الأفكار، فهذا هو الطريق الصحيح إلى الاستقلال الاقتصادي والسياسي، إذ أن المجتمع الذي لا يصنع أفكاره الرئيسية لا يمكنه سعى أية حال - أن يصنع المنتجات الضرورية لاستهلاكه ولا المنتجات الضرورية لتصنيعه .

والأمر الذي يؤسف له حقا هو أننا على امتداد العالم الإسلامي بسكانه الذين تجاوزوا الآلاف مليون وبكل مائتا من إمكانات هائلة لا غلثك مؤسسة علمية دولية لها نفس الإمكانيات العلمية والمادية التي تملكها المؤسسة الاستشراقية. أليس هذا من الأمور التي تدعو إلى الأسى والحسرة ؟

٤. لابد أن تكون لنا مؤسسة تبشيرية عالمية ، وأعنى بذلك جهازا للدعوة الإسلامية في الخارج يدعو للإسلام - من ناحية - ويرعى المسلمون الجدد - من ناحية ثانية - ويحمي المسلمين بالوراثة - من ناحية ثالثة.

ولابد من إصدار كتب إسلامية باللغات العالمية الحية تصصح لتصورات الخاطئة عن الإسلام في الأذهان وتعرض الإسلام بأسلوب علمي يتناسب مع العقلية المعاصرة ، وتقدم الحلول الإسلامية لمشكلات المسلمين العصرية.

٥. لابد من إعداد ترجمة مقبولة لمعاني القرآن باللغات الحية تسد بها الطريق على عشرات الترجمات المنتشرة الآن بشق اللغات والتي قام بإعدادها المستشرقون وصدورها في غالب الأحيان بمقدمات مملوءة بالطعن على الإسلام . ولابد أيضا من اختيار مجموعة كافية ومناسبة من الأحاديث النبوية الصحيحة وترجمتها أيضا لتكون مع ترجمة معاني القرآن الكريم في متناول المسلمين غير الناطقين بالعربية وفي متناول غير المسلمين الذين يريدون فهم الإسلام من منابعه الأصلية.

٦. العمل على تنقية التراث الإسلامي حتى يكون غذاء فكريا صالحا للمسلم. فترائنا فيه اغث وفيه السمين. ومع أن الإسلام لا يتحمل وزر الخرافات والأوهام والإسرائيليات التي تشتمل عليها بعض كتب التراث لدينا، فإن المستشرقين يستخدمون هذا التراث بكل ما فيه.

٧. محاولة اقتحام مجالات تدريس العلوم العربية والإسلامية في الخارج عن طريق الاتفاقات الثقافية التي تعقد بين بلدان العالم الإسلامي ودول أوروبا وأمريكا، وذلك بإرسال أساتذة أكفاء من الأقطار الإسلامية إلى معاقل الاستشراق للتدريس فيها. وبذلك يمكن بالتدريج تصحيح التصورات الأوروبية عن الإسلام بالعمل العلمي الدءوب وليس عن طريق الشعارات فقط. وأعتقد أن هناك الآن جامعات في أوروبا وأمريكا لديها الاستعداد للاستجابة ذلك.^{١٢}

وقد رد العلماء الأندونيسيون والمجلس الأعلى للدعوة الإسلامية ومجلس العلماء الأندونيسي وألف بعضهم الكتب لرد وتنقد أفكار الاستشراق السابقة ، فهي كما تلي :

١. التحريف في آيات المراث

يعتبر القرآن الكريم المصدر الأساسي لقوة المسلمين، وعودتهم إلى عزهم ومجدهم وماضي قوتهم وحضارتهم... لذا فهم يعملون جهدهم لتحريف معاني وتفسير آياته إن كان في مقدورهم واستطاعتهم .

يرفض وزير الدينية السابق منور شذالي آيات الميراث يرفض حكم الله في قوله تعالى : يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين (النساء ١١) ويقول : هذا حكم انتهى وقته، هذا كان عندما كانت المرأة تابعة للرجل، ولم يكن لها استقلالها الاقتصادي. أما المرأة الآن وقد تعلمت وعملت لما عاد هذا الحكم قائما !

يمكن أن نقول الله يقول: يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين (النساء ١١) ويقول في آخر الآية : فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما. ولذلك يسمى علم الميراث: علم الفرائض . ويقول في الآية الثانية : وصية من الله والله عليم حكيم. النساء ١٢ ويقول في الآية الثالثة : تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالدا فيها وله عذاب مهين. النساء ١٣

ولكن هذا الشيخ العجوز يقول : هذا حكم انتهى ! يجب إذن أن نغير أحكام الشريعة، فليس الأمر كما قال الله تعالى : الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم . النساء ٣٤ الرجل مطالب أن ينفق على الأسرة، وأن يدفع مهرا للمرأة: وأتوا النساء صدقاتهن نحلة . النساء ٤

ليس الرجال إذن مطالباً أن يدفع صدقة أو مهرا للمرأة، وليس مطالباً أن يكون مستولاً عن الأسرة ، يجب أن نلغي هذه الأحكام كلها! ٢. التحريف في تفسير معنى أهل الكتاب

قد اختلف علماء الإسلام في تزوج المسلم بالكتابية : ذات الدين السماوي والكتاب الإلهي . فمنهم من أباحه مستندا في ذلك الى ظاهر قوله تعالى: (واخصنات من المؤمنات واخصنات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم) قالوا : فرقت هذه الآية بين المشركة التي حرم التزوج بها قوله تعالى : (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) وبیم الكتابية ، فأباح التزوج بها .

ومنهم من طرد المنع ورأى حرمة الزوج بالكتابية شأنها شأن المشركة ، ونسب ذلك الرأي إلى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وبعض التابعين ، وحجتهم في ذلك أن الكتابية إذا غيرت وبدلت وأنكرت رسالة محمد عليه السلام كانت داخلة تحت عنوان " المشركات " وإعانها بالله فقط لا يخرجها عن دائرة الشرك ، فإن الله يقول : (وما يؤمن أكثرهم إلا وهم مشركون) ويستدلون أيضا في هذا المنع إلى الآيات الدالة على وجوب المباحة عن الكفر كقوله تعالى : (يأيتها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض)

وقد عمم نور خالص ماجد المتوفى سنة ٢٠٠٥ هو من أحد رؤساء العلمانيين باندونيسيا، أن أهل الكتاب لا ينحصر على اليهودية والنصرانية فقط بل تشمل الصينية والنجوسية والهندوكية والبوذية ، وأباح المسلم أن يتزوج بها ويتوارث بينهما. ورد الله تعالى بقوله (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولآمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بأذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون) البقرة ٢٢١ وهذا الرأي يتناقض بقول الرسول عليه الصلاة والسلام فيما رواه متفق عليه : (لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم)

٣. التحريف في تفسير معنى الحجاب

الحجاب مفروض في محكم القرآن حيث يقول عز وجل في سورة النور : (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن) الخمار هو غطاء الرأس ، فلا بد للمسلمة أن تغطي بخمارها على جبينها أى على فتحة الصدر ، فقد كانت نساء الجاهلية يبدين هذا النحر وهذا الصدر لتظهر فيه القلائد والزينة وغير ذلك .

فجاء الإسلام يأمر بضرب الخمار على الجيوب : (وليضربن على بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن) ، وذلك في الزينة الباطنة ، (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) وجاء في سورة الأحزاب : (يأيتها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفورا رحيما)

ولكن للأسف - قد فسر نور خالص ماجد المتوفى سنة ٢٠٠٥ هو من أحد رؤساء العلمانيين بآندونيسيا، يقول : الحجاب هو ثوب كبيرو رمز ديني ، ولذا لا علاقة بين الحجاب والشرعة .

هذا ليس بصحيح ، الحجاب ليس رمزا دينيا ، الرمز ما ليس له وظيفة إلا انه شعار وإعلان مثل : الصليب عل صدر النصراني ، ولحمة داود السداسية عل صدر اليهودى . ولكن هذا الحجاب له وظيفة ، وهو وظيفة الستر وهذا أمر من الله للمسلمة .

٤. ترفض جمعية تحرير المرأة بآندونيسيا تعدد الزوجات لأنها اهانة واستهزاء وظلم للنساء وهذا حكم بطل زمانه ؟! الله تعالى يقول : (فانكحوا ما طاب لكم النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة) النساء ٣

أجاء القرآن لزمان دون زمن ولعصر دون عصر ؟! (أفؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) البقرة ٨٥

إذا كان هوى الإنسان هو الذى يحكم الله وعلى كتابه ، انتهت الشريعة ، وانتهت العقيدة ، وانتهى الدين . الدين جاء حاكما لا محكوما جاء يقودنا لتبعه لا ليتبعنا هو . إذا أصبح الدين تابعا لنا ولأهواءنا ولآرائنا ، معناه أن الدين لم يعد حكما نرجع إليه إذا اختلفنا ، ونعود إليه إذا انحرفنا .

كانت هذه القضية موجودة فى الأمم . فجاء القرآن ووضع قيда وشرطا : القيد أنه لا زيادة على الأربع (مثنى وثلاث ورباع) والشرط هو العدل ، أن يثق الإنسان من نفسه بالعدل (فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة) النساء ٣ ثم قال فى نفس السورة (ولن تستطيعوا العدل أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) النساء ١٢٩ فكأن القرآن حلل فى الآية الأولى وحرم فى الآية الأخرى . أهذا يفعله عاقل ؟ أيهدم القرآن ما بناه فى سورة واحدة ؟ هذا لا يفعله العاقل فكيف بأحكام الحاكمين؟.

٦. يرد العلماء مذهب أفكار الليبرالية والتعددية فى الأديان والعلمانية ، لأن مذهب أفكار الليبرالية يفسر القرآن بالرأى الحر و يقبل النصوص التى تناسب العقل فقط ، والتعددية فى الدين ترى أن كل الأديان سواء ويدخل الجنة كل معتقيها والدين عندهم نسبي .

ورد الله تعالى : (ومن يتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)
أل عمران ٨٥ . وقال في آية أخرى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله
أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً)
الأحزاب ٣٦

٧. يرفض العلماء الدعاء الجماعي بين مختلف الأديان والتهنئة لعيد الميلاد المسيح للنصراني
لقول الله تعالى : (أمن يجب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض
أنله مع الله قليلاً ما تذكرون) النمل ٦٢ ، وفي آية أخرى (وما دعاء الكافرين إلا في
ضلال) غافر ٦٠ ورد العلماء عن حرام التهنئة لعيد الميلاد المسيح للنصراني لقول الله
تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من اله إلا اله واحد وإن لم ينتهوا
عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) المائدة ٧٣

٨. يرد العلماء عن كون المرأة إماماً في الصلاة ، لقول الله تعالى : (الرجال قوامون على
النساء فضل الله بعضهم على بعض ...) النساء ٣٤ وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمر أم ورقة أن تؤم نساء أهل دارها (رواه الدارقطني) وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : (لا تؤمن امرأة رجلاً) رواه ابن ماجه

٩. قد رد العلماء عن وجود فرقة الأحمدية لأنها ضالة مضلة التي تصدق بنبوّة مرزا غلام
أحمد ، لقول الله تعالى : (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم
النبيين وكان الله بكل شيء عليماً) الأحزاب ٤٠ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(لأنني بعدي) رواه البخاري

أما موقف مجلس العلماء الإندونيسي خاصة ، قد عقد المشاورة الوطنية السابعة التي قام
باختتامها الجمعة في السابع من ديسمبر ٢٠٠٥ نائب رئيس الجمهورية يوسف كلا ، أصدرت عدة
فتاوى وعددا من التوصيات لتكون إسهاماً من المجلس لتقديم المجتمع الإسلامي والشعب والدولة .
وهذه الفتاوى التحريمية التي أصدرتها المشاورة الوطنية السابعة لمجلس العلماء
الإندونيسي، منها :

١. النكاح بين مختلف الأديان.

٢. برامج تليفزيونية تبث العرافة والمغيبات، قال معروف : البرامج الكثيرة في التلفاز عن أعرافة والشياطين من جملة المحرمات لأنها تضل الأمة .
٣. التوارث بين مختلفي الأديان .
٤. كون المرأة إماما في الصلاة.
٥. الأحمدية . قال معروف : إن الأحمدية فرقة ضالة فهي محظورة ممنوعة لأنها تنشر الضلال وتضل أتباعها، ولذلك نطلب من الحكومة أن توقف وتحظر وجود فرقة الأحمدية في جميع أنحاء أندونيسيا، بل يعتبر أتباع الأحمدية خارجين عن الإسلام.
٦. الليبرالية والاستشراقية والعلمانية والتعددية في الأديان محرمة، قال معروف : إن مجلس العلماء الإندونيسي لا يوافق عليها، ولكن لأن الوقت لم يعد يتسع لتداول البحث فيها تدخل في توصيات المجلس للمشاركة الوطنية القادمة.
٧. الدعاء الجماعي بين معتقي الأديان المختلفة ، قال معروف : انه غير معهود في الإسلام ليعتبر بدعة مردودة وحرام .
- لأنه يحرم التأمين على دعاء معتقي الأديان غير الإسلام، كما يحرم الدعاء جماعيا، ولكن يباح إذا دعا كل واحد على حسب دينه.

خاتمة البحث

لقد حاولنا بما عرضناه على مسامعكم في هذه المحاضرة من نقاط أن نكون منصفين لأنفسنا ولغيرنا، أن نكون موضوعيين نرى الأسود أسود، والأبيض أبيض، حتى لا تختلط علينا الرؤية لنخطئ الطريق الصحيح إلى فهم أبعاد المشكلة.

وليس ما قلناه عن الإسلام والاستشراق والعلمانية هو نهاية المطاف. وإنما هي مجرد ملاحظات نقصد من ورائها الدعوة إلى التأمل والتفكير في أبعاد هذه المشكلة المطروحة.

وأرجو أن أكون قد وفقت إلى الصواب. والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المراجع

- (١) البهي محمد (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي). الطبعة الثالثة عشر ١٩٩٧م.
- (٢) حسان مصطفى السباعي (الاستشراق والمستشرقون) الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
- المكتب الإسلامي بيروت.

(٣) حمدي محمود زقزوق (هموم الأمة الإسلامية) الطبعة الأولى، دار الرشاد ١٩٩٨م.

(٤) عمارة محمد عمارة (العلمانية بين الغرب والإسلام) الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

(٥) مجموع الفتاوى من مجلس العلماء الإندونيسي.

(٦) مجموع فتاوى مجلس العلماء الإندونيسي.

(٧) صوت المسلمين.

الهوامش:

١-مقالة تكتب بمناسبة الندوة الإسلامية العالمية قامت بها جامعة المنيا مصر ورابطة العالم الإسلامي مارس

٢٠٠٦ .

٢-رمضان: مدرس قسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب والفنون جامعة جاكرتا الحكومية أندونيسيا.

٣-انظر: دكتور محمود حمدي زقزوق (هموم الأمة الإسلامية) ص ١٤٧، الطبعة الأولى، دار الرشاد

١٩٩٨م.

٤-المرجع السابق / ١٤٨.

٥-المرجع السابق / ١٥٥.

٦- انظر: دكتور محمد الهيي (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي) الطبعة الثالثة عشر

١٩٩٧م، ص ٤٣.

٧-انظر : دكتور محمد عمارة (العلمانية بين الغرب والإسلام) الطبعة الأولى ١٩٩٦م، ص ١٠.

٨-المرجع السابق، ص ١١.

٩-انظر : حسان مصطفى السباعي (الاستشراق والمستشرقون) الطبعة الثانية ١٩٧٩م المكتب الإسلامي

بيروت. ص ١٥-١٩.

١٠-المرجع السابق / ص ٢٠ - ٢٤.

١١-مجموع فتاوى مجلس العلماء الإندونيسي : جاكرتا ٢٠٠٥ ، ص ٢.

١٢- صوت المسلم : جاكرتا ٢٠٠٥ ص ٢٠.